الإسترجاع

ورد الإسترجاع في سورة يوسف على نوعين:

1- الاسترجاع الخارجي: وهو الذي يقع خارج نطاق زمن القصة
2- الاسترجاع الداخلي: وهو الذي يقع داخل نطاق زمن القصة

أولا: الاسترجاع الخارجي

1- من الاسترجاعات الخارجية قوله تعالى على لسان يعقوب أثناء تأويله لرؤية يوسف عليه السلام: **((وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (6)**

2- وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام بعد تأويله لرؤية الساقي والخباز: **((قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آَبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38))))**

في هذه الآيات نجد استرجاعات تعود زمنها إلى خارج نطاق زمن القصة، إذ يعود يوسف بالزمن إلى زمن الأجداد زمن إبراهيم وإسحاق، ليؤكد على:

1- النعمة التي خصها الله بها سلالة يوسف عليه السلام، وهي نعمة النبوة والرفعة والمكانة المتميزة لهذه السلالة الطاهرة عند الله سبحانه وتعالى،
2- تواصل هذه السلالة في حمل رسالة السماء لهداية الناس فها هو يوسف يحمل رسالة الأجداد ليخلص الناس من ضلالة الشرك بالله سبحانه وتعالى،
3- كما تؤكد هذه الاسترجاعات ولا سيما الآية (37) عن نقاوة وصفاء هذه العائلة وابتعادهم دائماً عمن يشرك بالله عز وجل، وصبرهم وتفانيهم في مواجهة الصعوبات والمشاكل.

ثانياً: الاسترجاع الداخلي

أما الإسترجاعات الداخلية فجاءت بكثرة في هذه السورة ومنها:

1- استرجاعات مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام:

قال تعالى: **((وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (30)**

وقوله تعالى: **((قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ)) (32)**

وقوله تعالى: **((وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ(50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)))**

هذه الآيات الاسترجاعية أكدت على الدلالات الآتية:

1- حجم الجريمة التي ارتكبتها امرأة العزيز
2- الفضيحة التي منيت بها وهي التي تمتلك مكانة راقية في المجتمع المصري
3- الثمن الباهض الذي دفعته من مكانته عند عزيز مصر وعند الملك وعند المجتمع
4- كشفت آيات الاسترجاع عن شخصية امرأة العزيز النرجسية
5- في المقابل أظهرت الآيات براءة يوسف على نحو لا يقبل الشك مطلقاً بشخصية ونزاهة يوسف

6- المكانة التي وصل إليها يوسف بعد بيان الحقيقة على لسان امرأة العزيز وبقية النسوة

7- أظهرت قيمة ما قام به يوسف عليه السلام من عصمة وقوة ايمان أمام مغريات الجمال والحب والسلطة والجاه

8- حجم الضغط الذي مورس على يوسف عليه السلام من قبل امرأة العزيز

9- اقتناع الملك بعد ما رأى من قوة شخصية يوسف ونزاهته وعفته وإيمانه من أن يجعله مقرباً منه ويسلمه مقاليد دولته.

2- الاسترجاع الداخلي الوهمي الذي يتحدث عن أمور يفترض أنها وقعت في الماضي وهي لم تقع فعلياً وإنما هي محض افتراء، من ذلك قوله تعالى على لسان إخوة يوسف **((قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)) (77)**

فهذا الاسترجاع الحصل على لسان إخوة يوسف لا صحة له في القصة والله سبحانه وتعالى لم يقل بذلك، وإنما قالها الأخوة حسداً وضغينة ليوسف الذي وجدوه بعد كل هذه المؤامرات أعلى شأناً منهم، وهناك تأويل لهذا الاسترجاع مفاده أن السرقة هنا جاءت بمعنى سرقة يوسف لقلب أبيهم منهم ووجه التأويل في ذلك قولهم في آية أخرى **((إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (8)**

وهناك تأويل آخر تاريخي هذه المرة هو أن عمة يوسف التي تولت تربية يوسف الطفل عندما طلب منها أبو يوسف إعادة يوسف إليه اتهمته بالسرقة حتى تتمكن من أخذه عاماً كاملاً لديها طبقا لما كان معمول به من قانون في الشام آنذاك، والذي اتكأ عليه يوسف أيضا عندما أراد أن يحتفظ بأخيه بعد أن دبّر كيد وضع الصواع في رحل أخيه.

هذا الاسترجاع الوهمي يلتقي مع الاستباق الوهمي الذي جاء على لسان أبي يوسف عندما قال **((...وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ)) (13)**

3- استرجاع التلخيصي

تلخيص تحقيق الرؤيا ليوسف عليه السلام

قال تعالى: **((وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)) (100-101)**

في الآيتين جملة من الاسترجاعات أهمها الاسترجاع الداخلي الدائر في فلك تحقيق الاستباق الداخلي لرؤيا يوسف في أول أية سردية خاصة بقضية يوسف **((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)) (4)** وإذا ما ربطنا هذا الاسترجاع الداخلي بالاستباق الداخلي نرى أن السرد في هذه القصة ترسم خطاً دائرياً في السرد عبر العودة إلى خط الشروع في السرد الذي تمثل باستباق الرؤيا.

وهناك استرجاعات أخرى في هذا الآية تتمثل بخروج يوسف من السجن ومجيء أهله إليه في مصر واستذكار يوسف لنعم الله عز وجل وخصه بالنبوة وتأويله للأحاديث في مسعى من السارد إلى تلخيص ولملمة القصة بأسلوب شيق وفيه الكثير من العبرة في انتصار الحق في نهاية المطاف، وروعة الصبر، وثمرة التسامح بين العائلة، وانكسار الشر.

4- الاسترجاع الداخلي التلميحي

أ- ((وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)) (45)

هذا الاسترجاع تلميحي لأنه يلمح إلى أجواء السجن وما طرأ على الشخصيتين (شخصية الساقي والخباز) من تغيير، الأول نجا والثاني ذهب إلى حتفه، فهذا الاسترجاع لمّح إلى الأمور الآتية:

1- رؤية كل من الساقي والخباز

2- تأويل يوسف للرؤيتين

3- مصير كل من الساقي والخباز

ب- ((قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) (64)

ت-((قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ)) (89)

في الآيتين استرجاع تلميحي، في الأولى يُذَكِّر الأب الأبناء بأسلوب توبيخي بما فعلوه بأخيهم يوسف وهنا الاسترجاع يلعب وظيفة إيصال الحاضر اللحظة الزمنية التي وصل إليها السرد بأحداث الماضي المأسوية التي خسر من خلالها يعقوب عليه السلام أبنه يوسف وفيه عقد نوع من الصلة بين ما يجري من أحداث لبنيامين الآن لحظة السرد وبين يوسف في الماضي عبر هذه اللقطة الاسترجاعية، وفي الثانية يذكر يوسف ما فعلوه الأخوة به

ث-((وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (69)

ج- ((قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)) (97)

في الآيتين أيضاً نجد استرجاعاً تلميحياً تحديداً في نهاية الآية **(69)** لا تبتئس بما كانوا يعملون في إشارة تلميحية إلى تاريخ الأخوة في تدبير المكائد فعبارة بما كانوا يعلمون إشارة إلى كل الفعل السيء المرتكب من قبل الأخوة تجاه يعقوب عليه السلام وولديه يوسف وبنيامين.

ح- ((قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)) (95)

خ- ((قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)) (85)

في الآيتين تذكير تلميحي أيضا إلى ما كان عليه يعقوب من إصرار على عدم نسيان يوسف مهما طال به الفراق وحزنه العميق على ما فعله الأخوة من الخلاص من يوسف ليخلو لهم وجه أبيهم كما عبر عنه القرآن الكريم

4- الاسترجاع الداخلي التفصيلي:

((فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)) (80)